من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الكتاب السابع

الرحيق المختوم

مقدّمة

يُجيبُ السُّهروردِيُّ في هٰذا الكتابِ عن طَلَبٍ توجَّهَ إليهِ مِنْ بعضِ قدماءِ أصحابِهِ أنْ يَذكُرَ له رموزاً مِنَ العلمِ المكنونِ والسِّرِّ المَصُونِ الَّذي هو نتيجةُ الخدمةِ وثمرةُ الحكمةِ ، لا يَظفَرُ بهِ إلَّا الغوَّاصونَ في بِحارِ المُجاهَداتِ ، ولا يَسعَدُ بهِ إلَّا المُصطَفَونَ بأنوارِ المُشاهَداتِ .

وقدْ أَورَدَ السُّهروردِيُّ هٰذه الرُّموزَ في صورةِ موضوعاتٍ متعددةٍ ؛ كالعنايةِ ، والحجابِ والوصولِ ، والإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ، ومجاهدةِ النُّفوسِ ، ومراتبِ هٰذه المجاهدةِ ومنازلِها ؛ كالإرادةِ ، والتَّوبةِ ، والوَرَعِ ، والزُّهدِ ، والفقرِ ، والصَّبرِ ، والتَّوكُّلِ ، والرِّضا ، وجعَلَ كلَّ موضوعٍ منها في فصلٍ مستقلٍّ ، وختَمَ بوصيَّةٍ جامعةٍ .

مِن ميزاتِ الكِتابِ : اهتمامُه بتعريفِ الرُّموزِ الَّتي يذكُرُها ، واعتناؤُه بذكرِ الأدلَّةِ عليها مِنَ الكتابِ والسُّنَّةِ .

ومنها : إيرادُ السُّهروردِيِّ لبعضِ المَرويَّاتِ بإسنادِهِ عن شيوخِهِ ، وهٰذا مُفيدٌ في التَّعرُّفِ علىٰ بعضِ شيوخِهِ في الرِّوايةِ .

ومنها : إكثارُهُ مِنْ إيرادِ الأشعارِ الرَّقيقةِ المُناسِبةِ لكلِّ مَقامٍ يَتحدَّثُ عنهُ .

وصف النّسخ المعتمدة في التّحقيق

نُسخة مخطوطة بمكتبة بايزيد ولي الدِّين بإستانبول ، ضمن مجموعة برقم (٣٨/١٨٢١) ، الأوراق من (٢٦٤أ ـ ٢٧١ب) .

وصفَها النَّاسخُ بقولِه : (كتابٌ ؛ المسمَّىٰ بـ : « الرَّحيقِ المختومِ » ، تأليفُ الشَّيخِ العالمِ العلَّامةِ المحقِّقِ أستاذِ الطَّريقةِ ولسانِ أهلِ التَّحقيقِ ؛ شهابِ الدِّينِ عمرَ بنِ محمد السُّهرَوَردِيِّ ، قدَّسَ اللهُ سِرَّه ، ونفَعَ به ، آمينَ) .

ورمزتُ لها بـ : (أ) .

ومخطوطٌ آخرَ بالمكتبةِ السُّليمانيَّةِ إستانبول ، حاجي محمَّد أفندي (٠٠١ ـ ٠٢٦٨٢) ، الأوراق من (١ ـ ١٦) .

ورمزتُ لها بـ : (ب) .

نماذج من صور المخطوطات

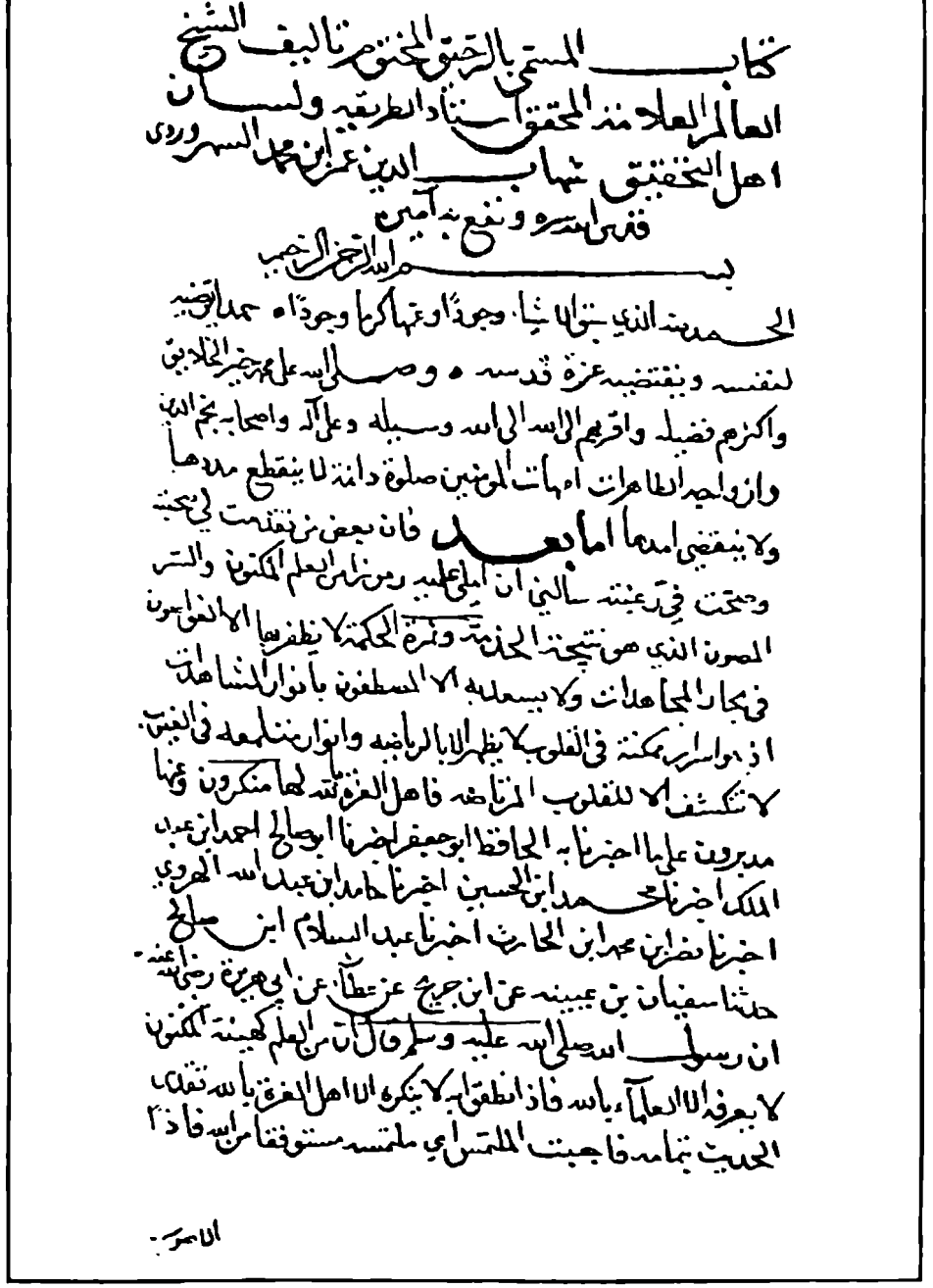

كتاب المسمى بالرشف المختوم تاليف الشيخ
العالم العلامة المحقق استاذ الطريقة ولسان
اهل التحقيق شهاب الدين عمر ابن محمد السهروردي
قدس الله سره ونفع به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بتوالي آياته وجوده اوعها كرما وجودا، حمدا يرتضيه
لنفسه وبقتضيه عزة قدسه ، وصلى الله على محمد خير الخلايق
واكرم فضيله واقربهم الى الله وسيله وعلى آله واصحابه نجم الدين
وازواجه الطاهرات امهات المومنين صلوة دائمة لا ينقطع مددها
ولا ينقضي امدها اما بعد فان بعض من تقدمت لي بحبته
وصحبت في رعيته سالني ان املي عليه رمزا من العلم المكنون والسر
المصون الذي هو تتحة الحذاقة وثمرة الحكمة لا يظفر بها الا المغوامون
في بحار المجاهدات ولا يبلغه الا المستطعون بانوار المشاهدات
اذ هو اسرار مكنة في القلوب لا يظهرها الا رياضه وانوار متلمعة في الغيوب
لا تكشف الا للقلوب المرتاضة فاهل الغرة لله لها منكرون وعنها
مدبرون فاجبته الى ما اجاب اليه فاخبرنا به الحافظ ابو جعفر اخبرنا ابو صالح احمد ابن عبد
الملك اخبرنا محمد ابن الحسين اخبرنا حامد ابن عبد الله الهروي
اخبرنا نضر ابن محمد ابن الحارث اخبرنا عبد السلام ابن صالح
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العلم كهيئة المكنون
لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله فقلت
الحديث بتمامه فاجبت الملتمس اي ملتمسه مستوفقا من الله فاذا

الامر -

نسخة مكتبة ولي الله تركيا (أ)

تجلى لبسلطانه هويته لعباده في كل شئ له آية تدل انه واحد واذا امكنه
هذه الحالة واقتبست هذه الفضيلة انطبعت في ضمنك نقوش
الملكوت وتجلى لمرآتك قدس اللاهوت والفت الانس الاعلى وذقت
اللذة القصوى واخذت لنفسك ما هو بك اولى واطلعت على
العالم الادنى ومللت الى ما هو منه اسمى واجم لاهله مستوثق بحبله
مستخف لثقله مستخف العقله متصل الطرفه وتاملت نفسك وفيها
جنة وبهجتها بهجته فتبجحت منها ومنهم تبجحهم منه
وقدوتها وكان معها كان ليس معها والله اعلم ان افضل حركاتك
واحمد اسكناتك الصلوة والصوم واعود البر والصدقة واظهر
الستر الاحتمال وابطل السعي الرياء وخير الاعمال ما صدر عن اخلاص
النيه وخير النيه ما اشرعت عن جناب علم وحكمة والله اعلم ان الحكمة
عين الفضايل ومعرفة الله تعالى اولى الاوايل والبه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه واقول قولي هذا واستغفر
الله الغفار لي ولجميع المسلمين انه هو الجواد الكريم
والغفور الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد واله وصحبه وسلم
اجمعين
تم

نسخة مكتبة ولي الله تركيا (أ)

رحيق التحقيق المختوم

للشيخ الاسلام عمر بن محمد الشهرورى قدس الله

سره العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى سبق الاشياء وجودا وعمها كرما وجودا احمدا
يرتضيه لنفسه و تقتضيه عزة قدسه وصلى الله على محمد
خير الخلائق واكرمهم فضيلة واقربهم الى الله وسيلة
وعلى اله واصحابه انجم زين واز واجه الطاهرات امهات
المؤمنين صلاة دائمة لاينقطع مددها لاينقضى امدها
امّا بعد فانّ بعض من قدمت لى صحبته وصحّت فى رغبته
سالنى ان املى رموزاً من العلم المكنون والسّر المصون الذى
هو نتيجة الخدمت وثمرة الحكمة لا يظفر به الاّ الفواصون
فى بحار المجاهدات ولا يسعد به الاّ المصطفون بانوار
المشاهدات اذ هو اسرار متمكنة فى القلوب لاتظهر الا بالويا
ضه وانوار ملتمعة فى الغيوب لا تنكشف الا للقلوب المرتاضه

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

الفضيلة انطبع فى فصك نقش الملكوت وتجلى فى مرآتك
قدس الجبروت والفت الانس الاعلى وذقت اللذة
القصوى واخذت عن نفسك الى ماهو بك اولى
واطلعت على العالم الادنى اطلاع راحم لاهله مستو
هن لحبله مستخف لثقله مستظل لطرفه وتذكرت
نفسك وهو بها لهجة فيعجب منها ومنهم تعجبهم
منها ومنك وقدر وعنها وكنت معها كان لست
معها واعلم ان افضل حركاتك الصلوة وافضل
شكناتك الصيام واعور البر الصوفة واظهر السير
الاحتمال وابطل السعى المواة وخير العمل ماصدر
عن اخلاص نية وخير النية ما انشرعت عن
حساب واعلم ان الحكمة ام الفضايل ومعرفة
الله اولى الاوايل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه) اقول قولى هذا واستغفر الله
العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

قوة الا بالله العلى العظيم ❁ تم كتاب رحيق المختوم

كتاب رسالة الانوار المعروف بالخلوات تأليف الشيخ المحقق محمد بن على بن محمد الطاى الاندلسى قدس الله سره ونفعنا به وبعلومه آمين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اجمعين قال الشيخ الامام المحقق محى الدين محمد بن على الحاتمى الطاى الاندلسى نفع الله به سألتنى ارشدك الله عن كيفية السلوك الى الله تعالى والوصول الى حضرته والرجوع من عنده الى خلقه من غير مفارقته فانه ما تم فى الوجود الا الله تعالى وصفاته وافعاله

نسخة المكتبة السليمانية تركيا (ب)

الرحيق المختوم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الَّذي سبقَ الأشياءَ وُجُوداً ، وعمَّها كرَماً وَجُوداً ، حَمداً يَرتَضِيهِ لنفسِهِ ، وتَقتَضِيهِ عِزَّةُ قُدْسِهِ ، وصلَّى اللهُ علىٰ محمَّدٍ خيرِ الخلائقِ وأكثرِهِم فضيلةً ، وأقربِهِم إلى اللهِ وسيلةً ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ أنجُمُ الدِّينِ ، وأزواجِهِ الطَّاهراتِ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، صلاةً دائمةً لا ينقطعُ مَدَدُها ، ولا ينقَضي أمَدُها .

أما بعد :

فإنَّ بعضَ مَنْ تقدَّمَتْ لي صُحبتُهُ ، وصحَّتْ فيَّ رغبتُهُ . . سألني أنْ أُملِيَ عليهِ رُموزاً مِنَ العلمِ المكنونِ والسِّرِّ المصُونِ ؛ الَّذي هو نَتِيجةُ الخِدمَةِ وثَمَرةُ الحكمةِ ، لا يَظفَرُ بهِ إلَّا الغوَّاصونَ في بحارِ المجاهداتِ ، ولا يَسعَدُ بهِ إلَّا المصطَفَونَ بأنوارِ المشاهداتِ ؛ إذْ هو أسرارٌ مُتمَكِّنةٌ في القلوبِ لا تَظهَرُ إلَّا بالرِّياضَةِ ، وأنوارٌ مُلتمعةٌ في الغُيوبِ لا تَنكَشِفُ إلَّا للقُلوبِ المُرتاضَةِ .

فأهلُ الغِرَّةِ باللهِ لها مُنكِرونَ ، وعنها مُدبِرونَ ، علىٰ ما أخبرَنا بهِ الحافظُ أبو جعفرٍ ، أخبرَنا أبو صالحٍ أحمدُ بنُ عبدِ الملكِ ، أنَّهُ أخبرَهُ[1] محمَّد بن الحسينِ[2] ، أخبرَنا حامدُ بنُ عبدِ اللهِ الهروي ، أخبرَنا نَصرُ بنُ محمَّدِ بنِ الحارثِ ، أخبرَنا عبدُ السَّلامِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنا سُفيان بنُ عُيينةَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قالَ : « إِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ كَهَيْئَةِ ٱلْمَكْنُونِ ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا ٱلْعُلَمَاءُ بِٱللهِ ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ . . لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ ٱلْغِرَّةِ باللهِ . . . » الحديثَ بتمامِهِ[3] .

---

(١) زيادة يقتضيها السِّياق .

(٢) هو أبو عبد الرحمٰن السُّلميُّ ، والحديث في « الأربعين في التَّصوُّف » له (١٣) .

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٦٨) .

فأجبتُهُ إلىٰ مُلتَمَسِهِ ، مُستَوفِقاً[1] مِنَ اللهِ الأصوبَ والأرشدَ ، والأقوَمَ الأسَدَّ ، ومستعيناً به في الأمورِ كلِّها ، إنَّهُ خيرُ مُوفِّقٍ ومُعينٍ .

(١) أي : طالباً مِن الله التَّوفيقَ .

فصل

[في أنَّ المُعوَّلَ على السابقةِ]

اعلمْ : أنَّ العنايةَ الأزليَّةَ هي الَّتي أوجَبَتِ الولايةَ ، ولولَاها لمَا قُرِّبَ آدمُ ولُعِنَ إبليسُ ، وقدِ استَويَا فيما أتَيا .

والمحبَّةُ هي الَّتي أورَثَتِ القُربةَ ، ولَولَاها لمَا رجعَ مُوسىٰ بالِاصطِفاءِ ، وقدْ خرَجَ للِاصطِلاءِ[1]

شعرٌ[2] : [من الهزج]

جُحُودِي لَكَ تَقْدِيسُ ... وَعَقْلِي فِيكَ تَهْوِيسُ

فَمَا آدَمُ لَوْلَاكَ[3] ... وَمَا فِي ٱلْبَيْنِ إِبْلِيسُ

فليسَ بينَهُ وبينَ العبادِ نسَبٌ إلَّا الكَرمُ ، ولا سببٌ إلَّا الحكمُ ، رضيَ في الأزلِ عن قومٍ فاستعمَلَهُم بأعمالِ أهلِ الرِّضا ، ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[4] ، وسَخِطَ علىٰ قومٍ فاستعمَلَهُم بأعمالِ أهلِ السُّخطِ ، ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾[5] .

شعرٌ[6] : [من البسيط]

كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَىٰ مَرْضَاةِ مَنْ غَضِبَا ... مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَلَا نَدْرِي لَهُ سَبَبَا

---

(١) إشارة إلىٰ قول الله تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النَّمل : ٧] .

(٢) هما للحلاج كما في « شرح ديوان الحلاج » (ص ١٦٢) .

(٣) في « ديوان الحلاج » : (وما آدم إلَّاك) .

(٤) سورة طه : (١٢٢) .

(٥) سورة التوبة : (٤٦) .

(٦) ذكره أبو نُعيمٍ الأصبهاني في « حليةُ الأولياءِ وطبقاتُ الأصفياءِ » (١٠/٢٤١) ، وفيه : (من غير جُرمٍ ولم نعرفْ له سببا) .

أخبرَنا الحسنُ بنُ أحمدَ بن الحسنِ المقرئ ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ[1] ، أخبرَنا الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ كيسانَ ، أخبرَنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضي ، أخبرَنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : رأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ الخَندَقِ وهو يَنقُلُ معنا التُّرابَ ، وهو يقولُ : [من الرجز]

وَٱللهِ لَـــوْلَا ٱللهُ مَـــا ٱهْتَدَيْنَـــا وَلَا تَصَدَّقْنَـــــا وَلَا صَلَّيْنَـــــا

فَـــأَنْـــزِلَـــنْ سَـكِـيـنَـةً عَـلَـيْـنَـا وَثَـبِّـتِ ٱلْأَقْـــدَامَ إِنْ لَاقَـيْـنَـا

فَـٱلْـمُـشْـرِكُـونَ قَـدْ بَـغَـوْا عَـلَـيْـنَـا إِذَا أَرَادُوا فِـتْـنَـــــةً أَبَيْنَـــــا[2]

سُلِبَ بلعامُ ثوبَ العِصمَةِ ، وأُوتيَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ رُشدَهُ مِنْ قبلُ ، هٰذا هو الأصلُ ، وما سِواهُ فصلٌ .

شعرٌ[3] : [من البسيط]

مَا حِيلَتِي تَفْعَلُ ٱلْأَقْـدَارُ مَا أُمِرَتْ وَٱلـنَّـاسُ مَـا بَيْـنَ ذِي غَـيٍّ وَذِي رَشَـدِ

فَلْنَطْوِ هَـٰذَا ٱلنَّمَطَ مِنَ الكَلامِ ؛ إذْ لو بَسطناهُ . . لانقَطعَ سِلكُ النِّظامِ .

---

(١) هو أبو نعيم الأصبهاني ، والحديث في « الأربعون على مذهبِ المحقِّقينَ مِنَ الصُّوفيَّة » له (١١٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣٧) ، ومسلم (١٨٠٣) .

(٣) ذكره عبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ١٣٠) ، نقلاً عن أبي علي الدقَّاق .

فصل

[في الحثِّ على إزالةِ الحجبِ]

لا حِجابَ إلَّا وجودُكَ ، ولا غَيبةَ إلَّا شهودُكَ ، فغِبْ عن شهودِكَ . . تكُنْ حاضراً ، وافنَ عن وجودِكَ . . تكُن واصِلاً ، فلولا أنَّ مرايا القلوبِ صَدِئَتْ . . لرأيتَ فيها العَجائبَ ، ولولا أنَّ بصائِرَها عَميَتْ . . لظَهرَتْ فيها العَواقِبُ .

أخبرنا عبدُ الرحمٰن بن حمد ، عنِ الرُّواة ، عن أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلْبَسُوا ٱلصُّوفَ ، وَشَمِّرُوا ، وَكُلُوا فِي أَنْصَافِ ٱلْبُطُونِ . . تَدْخُلوا فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاءِ »[1] .

ولٰكنْ رَانَ عليها الذّنوبُ ، فحُجبَتْ عن مُطالعةِ الغيوبِ ، وتكاثَفَتْ عليها ظُلم الشَّهواتِ فنكسَت ، وتَرادَفت عليها حُجُبُ الشُّبهَاتِ فطمسَتْ ، فلا ينفعُها ذِكرٌ ، ولا ينجَعُ فيها وعظٌ ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[2] ، ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[3] .

---

(١) أخرجه الديلمي في « الفردوس » (٣٣٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة محمد : (٢٤) .

(٣) سورة الأعراف : (١٧٩) .

فصل

[في المُحبِّ والمحبوبِ]

لا وصولَ إلَّا بحِفظِ الأُصول ؛ وهي تطهيرُ النَّفسِ مِنَ الأَخلاقِ المذمومةِ ، والطَّبائعِ الرَّديَّةِ المَلومَةِ ، وتبديلُ الصِّفاتِ البَهيميَّةِ والسَّبعيَّةِ والشَّيطانيةِ بالصِّفاتِ المَلَكِيَّةِ المَرْضِيَّةِ ، فإنَّ التَّرقِّيَ في المَقامَاتِ تَكرِمةٌ أَكرَمَ اللهُ بها المُؤمنينَ ، وتفضيلٌ أَعطَاهُ اللهُ عِبادَهُ المُخلِصِينَ .

وهم صِنفَان : صِنفٌ محبوبونَ مُرادونَ : يُرِيهم كما يُحبُّ ، ويُزيِّنهُم بما يُحِبُّ ، مُنَعَّمون على بِسَاطِ الأُنسِ ، مُقرَّبونَ في حَضْرةِ القُدسِ ، كما سُئل أبو يزيدَ عن معروفٍ الكَرْخيِّ فقالَ : أُعطِي الزُّبْدَ بالنِّرْسِيانِ[1] في حجرِ الرَّحمٰنِ .

شعرٌ : [من الوافر]

بَنُو حَقٍّ غُذُوا بِٱلْحَقِّ صِرْفاً فَنَعْتُ ٱلْحَقِّ فِيهِمْ مُسْتَعَارُ

وصِنفٌ مُريدون محبّون : فتارَةً يَتجلَّى لهُم جَلالُهُ فينزعِجونَ ، وتارَةً يتجلَّى لهُم جمالُهُ فيبتهِجونَ ، فهم ينقَلبونَ مِنَ الخَوفِ إلى الرَّجاءِ ، مُتردِّدونَ بينَ الإقدَامِ والإحجَامِ ، يدعونَ ربَّهُم خوفاً وطمعاً ، يؤدِّبُهم بالتَّعزُّز ، ويُهذِّبُهُم بالتَّلطُّفِ .

شعرٌ[2] : [من البسيط]

أَدَّبْتَنِي بِٱنْصِرَافِ ٱلطَّرْفِ يَا ثِقَتِي فَٱنْظُرْ إِلَيَّ فَقَدْ أَحْسَنْتَ تَأْدِيبِي

---

(١) النِّرسِيان : من أجود تمر الكوفة ، وفي المثَل عند أهل العراق : أطيبُ من الزُّبْدِ بِالنِّرْسِيَانِ ، يضربونه لما يُستطاب . انظر « المصباح المنير » (ن ر س) ، و« لسان العرب » (ن رس) .

(٢) ذكره القُشيري في تفسيره « لطائف الإشارات » (١٤٥/٣) ، وفيه : (أدَّبتني بانصراف قلبك عنّي) غير موزون .

فصل

[في الاستسلامِ للهِ سبحانَه وتعالىٰ]

الإسلامُ إذاً هو مَشرَعُ الخاصِّ والعامِّ ، ﴿ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]

حدَّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ ، أخبرَنا ابنُ فاذشاهَ ، أخبرَنا[2] الطبرانيُّ[3] ، أنا هارونُ كاملٍ ، أنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، أخبرَنا الليثُ ، أنا يونسُ بنُ يزيدَ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ : أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كَتبَ إلىٰ عظيمِ الرُّوم : « ٱلسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ ، أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ ٱلْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ ٱللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ »[4] .

فالإسلامُ : هو الانقيادُ للأمرِ ظاهراً ، والتسليمُ للحُكمِ باطناً ، ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[5] .

وهو ثمرةُ ذَبحِ النَّفسِ بسَيفِ المُجاهَدةِ .

ونتيجتُه : الفَرحُ بالتَّلفِ في ظهورِ التحفِ .

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ مَا لَقِيتِ[6]

وأَصلُه : مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[7] ،

---

(١) سورة النحل : (١٦) .

(٢) كلمة (أخبرنا) : زيادة لا يستقيم الإسناد إلا بها .

(٣) في « المعجم الكبير » (١٦/٨) (٧٢٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، بنحوه .

(٥) سورة الصَّافات : (١٠٣) .

(٦) أخرجه البخاري (٢٨٠٢) ومسلم (١٧٩٦) من حديث سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه ، انظر « سيرة ابن هشام » (٤٧٦/١) .

(٧) سورة البقرة : (١٣١) .

وقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ كتَبَ إلىٰ هِرقلَ عَظيمِ الرُّومِ : « ٱلسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ ، أَدْعُوكَ بِدُعَاءِ ٱلْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، يُؤْتِكَ ٱللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ » .

فصل

[في معالمِ الإيمانِ]

ثُمَّ يطلُعُ قَمَرُ الإيمانِ ؛ إذْ هو محتملٌ للزِّيادةِ والنُّقصانِ ، ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾[1] .

[قالَ] أبو عدنانَ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ المطهرِ ، عنِ الرُّواةِ ، عن أبي ذَرٍّ قالَ : سألتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أيُّ الأعمالُ أفضَلُ ؟ فقالَ : « إيمَانٌ بِٱللهِ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ » ، فقلتُ : أيُّ الرِّقابِ أفضَلُ ؟ قالَ : « أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَغْلَاهَا ثَمَناً » ، قلتُ : فإن لم أفعَلْ ؟ قالَ : « تُعِينُ صَانِعاً ، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ » ، قلتُ : فإنْ صنَعتُ ذٰلكَ ؟ قالَ : « تَدَعُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلشَّرِّ ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَتَصَدَّقُ بِهَا عَنْ نَفْسِكَ »[2] .

فالإيمانُ : طُمأنينةُ القَلبِ إلىٰ ما في الغَيبِ بارتفَاعِ الرَّيبِ عنهُ ، وهو ثمرةُ حُسنِ الثِّقةِ بالمُخبرِ .

ونتيجتُهُ : الِالتِذاذُ بالِاسمِ علىٰ رؤيةِ المُسمَّى ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3] .

شعرٌ[4] : [من الطويل]

إِذَا أُمُّ طِفْلٍ مَضَّهَا جُوعُ طِفْلِهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ ٱلْفَضْلِ فَٱسْتَعْصَمَ ٱلطِّفْلُ

---

(١) سورة يس : (٣٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ، وفيه : (فإن لم أفعل) بدل (فإن صنعت ذٰلك) ، وهو أليق بالسياق .

(٣) سورة الرعد : (٢٨) .

(٤) أورده الطبري في « تاريخه » (٢٥٨/٨) ، بنحوه .

فصل

[في مراقبةِ اللهِ تعالىٰ]

ثُمَّ تُشرقُ شمسُ الإحسانِ ؛ إذ هو مُنتهَىٰ زيادةِ الإيمانِ .

أخبرَنا الحسَن بنُ أحمدَ المُقرئُ ، عنِ الرُّواةِ ، عن أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا جَمَعَ ٱللهُ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ . . يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ ٱلْعَرْشِ : أَيْنَ أَهْلُ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱللهِ ؟ أَيْنَ ٱلْمُحْسِنُونَ ؟ قَالَ : فَيَقُومُ فَرِيقٌ مِنَ ٱلنَّاسِ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَٰلِكَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَحْنُ أَهْلُ ٱلْمَعْرِفَةِ ، بَلِ ٱلَّذِينَ عَرَّفْتَنَا إِيَّاكَ وَجَعَلْتَنَا أَهْلاً لِذَٰلِكَ ، فَيَقُولُ : صَدَقْتُمْ ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْآخَرِينَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ ٱلْمُحْسِنُونَ ، قَالَ : صَدَقْتُمْ ، قَدْ قُلْتُ لِنَبِيِّي : ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[1] ، ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي » ، ثُمَّ تبسَّمَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « نَجَّاهُمُ ٱللهُ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ »[2] .

فالإحسَانُ : مُراقبةُ قيامِ اللهِ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسَبَتْ على الدَّوامِ .

وهو ثمرَةُ العِلمِ بقيُّوميَّةِ الحقِّ ، وافتِقارِ الأَشياءِ .

ونتيجتُهُ : استِشعَارُ الحَياءِ ، ومُلازَمةُ الوَفاءِ .

شعرٌ[3] : [من الطويل]

كَـأَنَّ رَقِـيباً مِـنْكَ يَـرْعَـىٰ خَـوَاطِـرِي ... وَآخَـرُ يَـرْعَـىٰ نَـاظِـرِي وَلِـسَـانِـي

فَـمَـا رَمَـقَـتْ عَـيْـنَـايَ بَـعْـدَكَ مَـنْـظَـراً ... لِـغَـيْـرِكَ إِلَّا قُـلْـتُ قَـدْ رَمَـقَـانِـي

---

(١) سورة التوبة : (٩١) .

(٢) أخرجه أبو نُعيم في « الأربعين في التصوف » (٥١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٧٩) .

وَمَا بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ بَعْدَكَ لَفْظَةٌ ... لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي

وَلَا خَطَرَتْ فِي ٱلسِّرِّ مِنِّيَ خَطْرَةٌ ... لِغَيْرِكَ إِلَّا عَرَّجَا بِعِنَانِي

وَإِخْوَانُ صِدْقٍ قَدْ سَمِعْتُ حَدِيثَهُمْ ... فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَلِسَانِي

وَمَا ٱلزُّهْدُ أَسْلَىٰ عَنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... وَجَدْتُكَ مَشْهُوداً بِكُلِّ مَكَانِ

فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ ... وَلَاحَظْتُ مَعْلُوماً بِغَيْرِ عِيَانِ

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ وَٱلْبُعْدُ بَيْنَنَا ... كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِي وَأَنْتَ تَرَانِي

تَمَكَّنَ فِي قَلْبِي هَوَاكَ لِأَنَّنِي ... أَرَاكَ عَلَىٰ كُلِّ ٱلْأُمُورِ تَرَانِي

فصل

[في منازلِ النفسِ ومناهلِ القلبِ]

للنَّفسِ منازلُ ، وللقَلبِ مناهِلُ ، وكلَّما نزلَتِ النَّفسُ مِنَ المُجاهدةِ منزلاً . . وردَ القَلبُ مِنَ المشاهَدةِ مَنهلاً ، وكلَّما حلَّت النَّفسُ مِنَ الرِّياضةِ بقعةً . . كُسِيَ القَلبُ خِلعةً ، وكُلَّما زُيِّنَتِ النَّفسُ بتهذيبٍ . . شَرُفَ القلبُ بتقريبٍ .

والدَّليلُ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حاكياً عنْ ربِّهِ عزَّ وجلَّ : « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً . . تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً . . تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي . . أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
وقد ورد الحديث في (ب) بلفظ : « يقول الله تعالىٰ : قم فامشي إليَّ لنهرول إليك ، ابن آدم ؛ إن دنوت مني شبراً . . دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت مني ذراعاً . . دنوت منك باعاً ، ابنَ آدمَ ؛ إن حدَّثتك نفسُك بحسنةٍ ولم تعملها . . كتبتُها لك حسنةً ، وإن عملتَها . . كتبتُها لك عشراً » .

فصل

[في صدقِ الإرادةِ]

أوَّلُ منزلٍ تنزلُهُ النَّفسُ مِنَ المجاهدةِ : الإرادَةُ ؛ وهي انبعاثُ النَّفسِ لطلبِ الخَلاصِ مِن وَحشةِ الإدبار ، وظُلمةِ السُّكونِ إلى الأغيارِ .

وهي ثمرةُ العِلم بخُسرانِ الصَّفقةِ في متابعةِ الفُرقةِ .

ونتيجتُها : بذلُ الوُسعِ ، واستفراغُ الطَّاقةِ ، مع تركِ الشَّكوَىٰ مِنَ الاختيارِ والتسليمِ لمجَارِي الأَقدَارِ .

وحقيقتُها : التَّولي عنِ الخَلقِ ، والتَّوجُّهِ إلى الحقِّ بآدابِ السَّيرِ ، واحتِمالِ الضَّير .

ومَلاكُها : الضِّنَّةُ بالأَنفَاسِ ، والاعتزالُ عنِ النَّاسِ .

شعرٌ[1] : [من الوافر]

إِذَا شَامَ ٱلْفَتَىٰ بَرْقَ ٱلْمَعَالِي ... فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ ٱلرُّقَادِ

---

(١) البيت يُنسب لأبي القاسم السَّعدي ابن عم ابن نُباتة ، ولأبي عبد الرحمن الثَّيْلبي . وانظر « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » (٢٩/٥) ، و« الدر الفريد وبيت القصيد » (٤٥٣/٢) .

فصل

[في اللَّحظِ]

فإذا نزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وردَ القَلبُ مَنهَلَ اللَّحظِ ؛ وهو أَن يُلاحِظَ القَلبُ لُطفَ الحَبيبِ في الأَزَلِ ، فيَدنُو إليهِ ويَستَحلِيهِ ، ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾[1] .

شعر[2] : [من الكامل]

سَقْياً لِمَعْهَدِكَ ٱلَّذِي لَوْ لَمْ يَكُنْ ... مَا كَانَ قَلْبِي لِلصَّبَابَةِ مَعْهَدَا

وهو ابتداءُ سَيرِ القَلبِ إلى الرَّبِّ .

وهو ثمرةُ جَذبِ الحقِّ إيَّاهُ بتلويحِ الجمالِ .

ونتيجتُهُ : التَّشمُّرُ في السَّيرِ إلى الرَّبِّ ، وتمكُّنُ الحُبِّ مِنَ القَلبِ إذا صادَفَهُ فارغاً ، ويكسُوهُ مِنَ الحُبِّ ثوباً سابِغاً .

شعرٌ[3] : [من الطويل]

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ ٱلْهَوَىٰ ... فَصَادَفَ قَلْباً فَارِغاً فَتَمَكَّنَا

---

(١) سورة يوسف : (٣١) .

(٢) البيتُ لأبي تمام ، وفي الأصل : (لعهدك) ، والمعهد : المنزل . وانظر « ديوان أبي تمام » (ص ١٢٥) ، و« الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري » (٥١٨/١) ، و« مختصر تاريخ دمشق » (١٨٢/٢٨) .

(٣) البيت منسوبٌ إلى مجنون بني عامر ، في : « البيان والتبيين » للجاحظ (٤١/٢ ـ ٤٢) ، وفيه : (قلبي فارغاً) ، وفي « الحيوان » له : (١٦٩/١) ، (١٦٧/٤) ، وفيه : (قلباً خالياً) . وانظر « عيون الأخبار » (٩/٣) ، و« الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري » (٦٩/١) ، و« محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء » (٢٩/٢) .

فصل

[في التوبةِ]

ثُمَّ تنزِلُ النَّفسُ منزلَ التَّوبةِ .

أخبرَنا عبادُ بنُ محمدِ بنِ المحسنِ الجعفريُّ ، أخبرَنا عبدُ الرحمٰنِ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ حيَّانَ[1] ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ الخزاعيُّ ، حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا عليُّ بنُ سعدٍ ، حدَّثنا قتادةُ ، عن [أنسٍ ، عن][2] النبيِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ ٱلْخَطَّائِينَ ٱلتَّوَّابُونَ »[3] .

فالتَّوبةُ : هي انخِلاعُ النَّفسِ عنِ المألُوفاتِ ، وانقِماعُها عن مُتابعةِ الشَّهواتِ .

وهي ثَمَرةُ انتباهِ القَلبِ مِن سِنَةِ الغفلةِ ، ونَدَمِ النَّفسِ علىٰ ما فاتَ مِنَ الوصلةِ .

ونتيجتُها : التَّشميرُ في حفظِ ما يستقبِلُهُ مِنَ السَّاعاتِ ، والتَّحسُّرُ علىٰ ما فاتَهُ مِنَ الأَوقاتِ .

شعرٌ[4] : [من الطويل]

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِي ... عَلَىٰ كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّعَا

---

(١) هو أبو الشيخ الأصبهاني ، والحديث في « جزء من حديثه » (١٣٣) .

(٢) زيادة لازمة من مصادر التخريج .

(٣) وأخرجه أيضاً أحمد في « المسند » (١٣٠٤٩) ، والترمذي (٢٤٩٩) ، وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث قتادة ، عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) البيت نُسب للصِمَّة بن عبد الله القشيري في « شرح ديوان الحماسة لأبي تمام » للمرزوقي (ص ٨٥٣) ، وفيه : (أَنْ تَصَدَّعَا) ، ونُسب ليزيد بن الطثريَّة في « مصارع العشاق » (٢٠٣/٢) ، وقد روي أيضاً لعبد الله بن الدمينة الخثعمي في « العقد الفريد » (٣٦/٧) ، و« وفيات الأعيان » لابن خلكان (٣٧٠/٦ ـ ٣٧١) .

فصل

[في الذوقِ]

فإذا أُنزِلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وردَ القَلبُ منهلَ الذَّوقِ ؛ وهو أنْ يجِدَ رَوحَ الحُبِّ وبَرْدَ القُربِ ، فيستلِذَّ المِحنَ علىٰ وَقعِ المِنن ، ﴿ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ (١) .

وهو ثَمَرةُ الوقوفِ على البابِ لرفعِ الحجابِ بتنسيمِ ريحِ النَّجاحِ ، وشيمِ بَرقِ الفَلَاحِ .

شعرٌ (٢) : [من الكامل]

وَلَقَدْ نَسَمْتُ ٱلرِّيَاحَ لِحَاجَةٍ ... فَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتَيْكَ نَسِيمُ

ونتيجتُه : الحِرصُ على اقتناءِ الخيراتِ ، والنُّكوصُ عنِ الإقدامِ إلىٰ طَلَبِ الشَّهواتِ ، والإنفصالُ عن غيرِ المحبوبِ وطَرحُ ما سِواه ، والحَومُ حولَ ما يحبُّهُ ويرضَاهُ .

شعرٌ (٣) : [من الطويل]

أَبَى ٱلْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَمْرٍو فَأَصْبَحَتْ ... خَلِيلَتَهُ إِنْ زَارَهَا أَوْ تَجَنَّبَا

عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَتْ وَسِلْمٌ لِسِلْمِهَا ... وَمَنْ قَرَّبَتْ لَيْلَىٰ أَحَبَّ وَقَرَّبَا

---

(١) سورة الشعراء : (٥٠) .

(٢) البيتُ لأبي العتاهية ، وفي المصادر : (تنسمت . . . لحاجتي) ولعله الصواب ، وانظر « ديوان أبي العتاهية » (ص ٤٠٧) ، و« عيون الأخبار » لابن قتيبة (١٣٤/٣) .

(٣) البيتان للأحوص كما في « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني (٢٢٤/٨) ، (٣٧٣/١٨ ـ ٣٧٤) ، وانظر « الدر الفريد وبيت القصيد » (٨١/٢) ، وفيه : (فأصبحت صَفيَّته . . . ومَن قرَّنت) .

فصل

[في الورع]

ثُمَّ تنزلُ النَّفسُ منزلَ الوَرَعِ .

أخبرَنا الحسنُ بنُ أحمدَ أبو علي [1] ، أخبرنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم [2] ، حدَّثنا محمَّد بن إسحاق القاضي ، أخبرَنا أحمد بن عمرو البزار [3] ، أخبرَنا عبادُ بنُ يعقوبَ ، أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ عبدِ القدوسِ ، عن الأعمشِ ، عن مطرفِ بنِ عبدِ اللهِ ، عن حذيفةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَضْلُ ٱلْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ ٱلْعِبَادَةِ ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ ٱلْوَرَعُ » [4] .

والوَرَعُ : هو تطهيرُ النَّفسِ عنِ التَّلوُّثِ بما يُورِثُ تَبِعةً للخَلقِ ، أو مُطالبةً للحقِّ ؛ وهو ثَمَرةُ الجَذبِ عنِ الإنقِطاعِ ووقوعِ الحِجابِ [5] .

ونتيجتُهُ : التَّوقُّفُ والتَّأنِّي عنِ الإنهماكِ في أَودِيةِ التَّمنِّي ، وتسليم العِنانِ إلىٰ إشارَةِ القَلبِ والجَنَانِ ، وتقييدِ الجَوارِح بامتثالِ الأَوامِر واجتنابِ النَّواهِي .

وقُصاراهُ : الاحتفاظُ عن تشتُّتِ الهمَّةِ ، والإحترازُ مِنَ الفُتورِ في الخِدمَةِ .

شعرٌ : [من البسيط]

مُسْتَوْفِزُونَ عَلَىٰ رَحْلٍ كَأَنَّهُمُ ... رَكْبٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَمْضُوا وَيَرْتَحِلُوا [6]

---

(١) هو أبو علي الحدَّاد راوية أبي نُعيم الأصبهاني .

(٢) في « حلية الأولياء » (٢١١/٢) .

(٣) هو صاحب « المسند » ، والحديث فيه برقم (٢٩٦٩) .

(٤) أخرجه ـ سوىٰ من تقدَّم ـ الترمذي في « العلل الكبير » (ص ٢٤٣) ترتيبه ، والحاكم في « المستدرك » (٩٢/١) .

(٥) في (ب) : (وهو ثمرة الحذر عن الانقطاع ، ووقوف الحجاب) .

(٦) في الأصل : (مستوفزون علىٰ رحل وقد يريدون . . .) ، وانظر « لطائف الإشارات » (٦٣٢/٣) ، و« ترتيب المدارك » (٤٧/٣) ، والتصحيح ملفق بينهما .

فصل

[في الشوقِ]

فإذا أُنزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزِل . . وردَ القَلبُ مَنهَلَ الشَّوقِ ؛ وهو انزِعاجُ القَلبِ في السَّيرِ إلى المحبوبِ ، وارتِياحُ السِّرِّ بقُربِهِ .

وهو ثمرةُ تنسُّمِ رَوحِ الوِصَالِ .

ونتيجتُه : المُسارَعةُ في طَلبِ المَرضاةِ ، ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[1] .

فالاشتياقُ يقتَضِي الإستِباقَ ، والمُشتاقُ عَجِلٌ ، لا يبرَحُ على حَظٍّ ، ولا يفرحُ بوَعظٍ .

شعرٌ : [من الطويل]

وَحَدَّثْتَنِي يا سَعْدُ عَنْهُمْ فَزِدْتَنِي جُنُوناً[2] فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ[3]

والمُشتاقون على مَراتِب :

مُشتاقٌ يسعى بقَدَمِ المَلامةِ على مَركبِ المعذِرةِ في وادي التَّوبةِ ، مَقصِدُهُ القبُول ، و﴿ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[4] .

وآخَرُ : يسعَى بقَدَمِ الإجتِهادِ على مَركبِ الإفتقارِ في وادي الرَّغبةِ ، مَقصِدُهُ النَّوال ، ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾[5] .

---

(١) سورة طه : (٨٤) .

(٢) في (ب) : (شجوناً) .

(٣) البيت لأبي الفضل العباس بن الأحنف ، في « ديوانه » (ص ٥٨) ، وورد في « زهر الآداب وثمر الألباب » للقيرواني (٢١٤/١) ، وفي « الدر الفريد وبيت القصيد » للمستعصمي (٢٢٠/١٠) ، وفيه : (شجوناً) .

(٤) سورة التوبة : (١٠٤) .

(٥) سورة التغابن : (١٧) .

وثالثٌ : يسعَىٰ بقَدَم التهيُّبِ علىٰ مركبِ الخشوعِ في وادي الإشفاقِ ، مقصدُهُ الأمانُ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[1] .

ورابعٌ : يسعَىٰ بقَدَم الإخلاصِ علىٰ مركبِ النَّجاةِ في وادي الإنابةِ ، مقصدُهُ الإكرام ، ﴿ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[2] .

وخامسٌ : يسعىٰ بقَدَمِ المحبَّة علىٰ مركبِ الشَّوقِ في وادي الهيمانِ ، مَقصِدُهُ المحبوبُ ، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[3] .

شعرٌ : [من مجزوء الكامل]

أَشْتَاقُهُ فَإِذَا بَدَا أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خِيفَةً بَلْ هَيْبَةً وَصِيَانَةً لِجَمَالِهِ[4]

---

(١) سورة الأنعام : (٨٢) .

(٢) سورة المعارج : (٣٥) .

(٣) سورة الفجر : (١٤) .

(٤) الأبيات لمعوج الرقي كما في « الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنىً » (ص ٤٥) ، وفي الأصل : (أشتاق) بدل (أشتاقه) .

فصل

[في الزهدِ]

ثمَّ تنزلُ النَّفسُ منزلَ الزُّهدِ .

أنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عمرَ ، أنا عبدُ الوهابِ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، أنا أبو ذرٍّ ، أنا محمدُ بنُ حفصِ بنِ عبدِ اللهِ النيسابوريُّ ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ عبدِ اللهِ[1] ، أنا حفصُ بنُ عبدِ اللهِ ، عن يزيدَ بنِ عميرٍ ، عن الأعرجِ ، عن أبي هُريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ ٱلرَّجُلَ يُعْطَى ٱلزُّهْدَ فِي ٱلدُّنْيَا ، وَيُقِلُّ مَنْطِقَهُ . . فَٱقْتَرِبُوا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ ٱلْحِكْمَةَ »[2]

والزُّهدُ : ترفُّعُ النَّفسِ عن الِالتفاتِ إلى الدُّنيا ، وتركُ المُبالاةِ بها لقلَّةِ جدوَاها وكثرةِ بَلواها .

وهو ثمرةُ العلمِ بخَيريَّةِ الآجِلةِ ، وعزوفُ النَّفسِ عنِ العَاجِلةِ .

ونتِيجتُهُ : قلَّةُ الاكتراثِ بها ، واحتِقارُها والازورارُ عنها ، حتَّىٰ لا يُبالي حيثُ تَرَكَها ؛ أَمُستحقٌّ أخذَها أمْ غيرُ مُستحقٍّ ؟

وقُصاراهُ : استِواءُ الذَّهبِ والحَجرِ عندَهُ ؛ إذْ محبَّةُ الدُّنيا محنَةٌ قديمةٌ ، وبَليَّةٌ عظيمةٌ .

وحقيقةُ الدُّنيا : ما شَبَطَ[3] عن مُرافقةِ الرَّفيقِ إنْ تعلَّقَ الذَّيلُ بهِ في الطَّريقِ ، والِاستيسارُ في يدِ الشَّيطانِ .

---

(١) بعده في « ب » : (بن أرن در) ، ولا معنى له .

(٢) أخرجه الخطيب في « تالي تلخيص المتشابه » (٥٠١/٢) من طريق يزيد بن عمير به .

(٣) شبط : تشبث وأمسك ، أو تعلق . انظر « تكملة المعاجم العربية » (ش ب ط) (٢٣٧/٦) .

والزُّهدُ : تجرُّدٌ عنِ الدُّنيا وعن ذِكرِها ؛ فلا يُعيرُها لَحْظاً ، ولا يذكرُها لَفظاً .

شعرٌ[1] : [من الطويل]

إِذَا ٱنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ ٱلشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ ٱلدَّهْرِ تُقْبِلُ

(١) البيت لمعن بن أوس المزني كما في « معجم الشعراء » للمرزباني (ص ٤٠٠) ، و« شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٩/٢) .

فصل

[في العطشِ]

فإذا أنزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وردَ القَلبُ مَنهَلَ العَطَشِ .

والعَطشُ : هو تشَوُّقُ القَلبِ إلىٰ رَوحِ الوِصالِ ، والتَّخلُّصُ عن عِلَّةِ الإنفِصالِ .

وهو ثَمَرةُ صِدقِ العَزمِ ، وغَلَبةِ الوَجدِ .

شعرٌ : [من البسيط]

إنِّي شَرِبْتُ بِكَأْسٍ مِنْ مَوَدَّتِهِ فَبَالَغَ ٱلشُّرْبُ فِي مَكْنُونِ أَحْشَائِي

ونتيجتُهُ : الذُّهولُ عنِ الوجودِ ، والإنقطاعُ إلى الموجودِ ، وشيمُ بَرقِ التَّجلِّي في السِّرِّ ، وتنسُّمُ نفحَاتِ الكَشفِ في أيَّامِ الدَّهرِ .

شعرٌ[1] : [من الطويل]

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْماً غَمَامَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقاً وَأَبْطَا رَشَاشُهَا

فَلَا غَيْمُهَا يَجْلُو فَيَيْئَسَ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَيَرْوَىٰ عِطَاشُهَا

والعَطشُ علىٰ مَراتبَ : عَطَشُ إرادةٍ : يتولَّدُ مِنَ العِلمِ ، وصاحبُهُ عازِمٌ ، وعَطَشُ طَلَبٍ : يتولَّدُ مِنَ المعرفةِ ، وصاحبُهُ سائِرٌ ، وعَطَشُ شَوقٍ : يتولَّدُ مِنَ المحبَّةِ ، وصاحبُهُ واصِلٌ .

شعرٌ[2] : [من الوافر]

وَأَبْرَحُ مَا يَكُونُ ٱلشَّوْقُ يَوْماً إِذَا دَنَتِ ٱلْخِيَامُ مِنَ ٱلْخِيَامِ

---

(١) الأبيات لبشار بن برد كما في « التمثيل والمحاضرة » للثعالبي (ص ٢٤٠) ، و« معاهد التنصيص علىٰ شواهد التلخيص » (٥٢/٢) ، وفيهما : (. . . يوماً سحابَةٌ) .

(٢) البيت بلا نسبة في : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » (ص ٣٢) ، و« تزيين الأسواق » لداوود الأنطاكي (٥٨/١) .

فصل

[في الفقرِ]

ثمَّ تنزِلُ النَّفسُ منزلَ الفَقرِ .

أخبرَنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ المقرئُ ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ ، أنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، أنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا عبدُ الرزَّاقِ[1] ، عن مَعمرٍ ، عن سليمانَ التيميِّ ، عن أبي عثمانَ أسامةَ بنِ زَيدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَقَفْتُ عَلَىٰ بَابِ ٱلْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا ٱلْفُقَرَاءُ ، وَوَقَفْتُ عَلَىٰ بَابِ ٱلنَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا ٱلْأَغْنِيَاءُ ، وَإِذَا أَهْلُ ٱلْحَسَدِ[2] مَحْبُوسُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلنَّارِ ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى ٱلنَّارِ »[3] .

والفَقرُ : هو الاكتِفاءُ بالمُكَوِّنِ عنِ الكَونِ ، وتركُ اختيارِ النَّفسِ في البَينِ .

وهو ثمرةُ المعرفةِ بحقيقةِ النَّفسِ ؛ إذِ الفَقرُ صِفةٌ ذاتيَّةٌ للنَّفسِ لا تزولُ عنها أبداً ، كما أنَّ الغِنَىٰ صِفةٌ ذاتيَّةٌ للرَّبِّ لا تزولُ عنهُ أبداً .

ونتيجتُهُ : ألَّا يَستلِذَّ بمَوجودٍ ما إذِ الحقُّ فاقتُه ، ولا يَستقِرَّ بفاقَةٍ إذِ الحقُّ موجودُه ، يلتجِئُ إلىٰ دارِهِ ولا يُبالي بما سِواهُ .

شعرٌ[4] : [من الطويل]

تَسَتَّرْتُ عَنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ ... فَعَيْنِي تَرَىٰ دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَو تَسْأَلِ ٱلْأَيَّامَ مَا ٱسْمِيَ ؟ مَا دَرَتْ ... وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفْنَ مَكَانِي

---

(١) في « المصنف » (٢٠٦١١) .

(٢) في مصادر التخريج : « الجد » .

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٦) ومسلم (٢٧٣٦) من طرقٍ عن سليمان التيمي . . . به ، بنحوه .

(٤) الأبيات لأبي نواس في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٠/٧) ، وفيه : (تغطيت) ، وفي « الجليس الصالح الكافي » (ص ٢٣٤) ، وفي « النور السافر » (ص ١٥٣) ، وفيه : (عرفت) .

فصل

[في الفرقِ]

فإذا أنزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وردَ القَلبُ مَنهَلَ الفَرْقِ ؛ وهو انسِدادُ مَسالِكِ الإلتِفاتِ عنِ القَلبِ ، باستيلاءِ أنوَارِ الكَشفِ عليهِ ، ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾[1] .

شعرٌ[2] : [من السريع]

لَا يَهْتَدِي قَلْبِي إِلَىٰ غَيْرِكُمْ ... لِأَنَّهُ سُدَّ عَلَيْهِ ٱلطَّرِيقْ

وهو ثَمَرةُ امتلاءِ زَوايا القَلبِ مِنَ المَحبوبِ ، واشتِغالِ السِرِّ باشتِغالِ أنوَارِ الغيوبِ .

ونتيجتُهُ : نِسيانُ الأَحوَالِ والعلومِ ، واضمِحلالُ الآثَارِ والرُّسومِ .

شعرٌ[3] : [من الطويل]

فَلَمَّا ٱسْتَبَانَ ٱلصُّبْحُ أَدْرَجَ ضَوْءُهُ ... بِإِسْفَارِهِ أَنْوَارَ ضَوْءِ ٱلْكَوَاكِبِ

وأَهلُ الفَرقِ علىٰ مَراتِب :

فأهلُ اليقظَةِ غَرِقوا في بِحارِ عِزِّهِ .

وأهلُ التَّوبةِ غَرِقوا في بِحارِ عَفوِهِ .

وأهلُ الرَّجَا غَرِقوا في بِحارِ جُودِهِ .

---

(١) سورة يوسف : (٣٠) .

(٢) البيت لأبي الفضل العبَّاس بن الأحنف كما في « محاضراتُ الأدباء ومحاوراتُ الشُّعراء والبلغاء » (٣٨/٢) ، و« الدر الفريد وبيت القصيد » (٢٥٧/١١) ، وفيهما : (كأنما سُد) .

(٣) البيت يُنسب لأبي العباس القاسم السياري ، كما في « طبقات الأولياء » (ص ٣٦٧) ، وفيه : (استنار الصبح . . . بإسفار) ، وقد ورد في « لطائفُ الإشاراتِ » للقُشيريّ (٢٧٦/٣) ، وفيه : (بأنواره أنوار تلك) .

وأهلُ المَعرفةِ غَرِقوا في بِحارِ أُنسِهِ .

وأهلُ الحُبِّ غَرِقوا في بِحارِ أنوَارِ مُشاهدَتِهِ ، واحتَرقوا بنارِ مُكاشَفتِهِ ، فهُم الَّذين انكَسرَتْ سَفينتُهُم وابتلعَتْهُم اللُّجَجُ ، فلمْ يبقَ لهم أَثرٌ ، ولمْ يُؤثَر منهُم خَبرٌ ؛ لأنَّ مَنْ سِواهُم أَلقَتْهُمُ الأمواجُ إلى السَّواحِلِ ، وهـٰؤلاءِ التَقمَهُمُ الحوتُ فلمْ يبقَ منهُم حاصِلٌ .

شعرٌ[1] : [من الكامل]

رَاحَتْ مُشَرِّقَةً وَرُحْتُ مُغَرِّباً شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ

(١) البيت بلا نسبة في : « زهر الأكم في الأمثالِ والحِكم » لليوسي (٢٢٢/١) ، وبنحوه في : « الدر الفريد وبيت القصيد » للمستعصمي (١٠٦/٥) ، وفيه : (ومتى التقاء مشرق ومغرب) .

فصل

[في الصَّبرِ]

ثمَّ تنزلُ النَّفسُ منزلَ الصَّبرِ .

أنا الحافظُ أبو العَلاء أحمدُ بنُ نصرِ بنِ أحمدَ رحمَهُ اللهُ ، قالَ أخبرَنا الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ، أنا أحمدُ بنُ الحسينِ أبو نصرٍ ، أخبرَنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ السُّنِّيِّ ، أنا أبو يعلى الموصليُّ [1] ، أنا عبيدُ بنُ جنادٍ الحلبيُّ ، ثنا يوسفُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ المنكدرِ ، عن أبيهِ ، عن جابرٍ قالَ : سُئلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عن الإيمانِ ؛ فقالَ : « ٱلصَّبْرُ وَٱلسَّمَاحَةُ » [2] .

والصَّبرُ : هو حَبسُ النَّفسِ عن مجاري القَضاءِ ؛ بتَركِ الشَّكوَىٰ ، واستِلذَاذِ البَلوَىٰ .

وهو ثَمَرةُ الفَرَحِ بنفَاذِ حُكمِ المَحبوبِ عليهِ ، وكمالِ عِزَّتِهِ ، وإمضاءِ أمرِهِ ؛ إذْ صَولَةُ المحبوبِ محبوبَةٌ ، وسطوَتُهُ مأنوسَةٌ غيرُ مَرهُوبةٍ .

شعرٌ [3] : [من السريع]

جَوْرُ ٱلْهَوَىٰ أَحْسَنُ مِنْ عَدْلِهِ ... وَبُخْلُهُ أَظْرَفُ مِنْ بَذْلِهِ

ونتيجتُهُ : الإلتِذاذُ بالمِحَنِ لرؤيةِ المُمتحِنِ : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [4] ، لا يُريدُ الإنتقالَ مِنْ حالِهِ ، ولا يخطُرُ ذٰلكَ ببَالِهِ .

---

(١) في « المسند » (١٨٥٤) .

(٢) أخرج الحديث أيضاً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٦١) ، وابن نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٦٤٧) وغيرهم .

(٣) البيت ورد في « لطائف الإشارات » للقشيري (٥٦٦/١) .

(٤) سورة الطور : (٤٨) .

شعرٌ : [من الكامل]

وَقَفَ ٱلْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ

وَأَهَنْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِراً مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أُكْرِمُ[1]

(١) البيتان لأبي الشيص محمَّد بن رزين الخزاعي كما في « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٢/ ١٤٤) ، وفي « الشعر والشعراء » (٨٣٢/٢) ، وفيه : (نفسي جاهداً . . . ممن يُكرِمُ) ، وفي « المنتظم في تاريخ الأمم والملوك » (٣٤/١٠) ، وفيه : (يا مَن أهون) ، وفي « كنز الدرر وجامع الغرر » (٥/ ١٦٣) ، وفيه : (قاصداً . . . ممن يُكرَم) .

فصل

[في السُّكرِ]

فإذا أُنزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وَردَ القَلبُ منهلَ السُّكْرِ .

والسُّكرُ : تبدُّلُ الصِّفاتِ ، وتغيُّرُ النُّعوتِ ، وهو ابتداءُ تنفُّسِ الصُّبحِ ، وبُرءِ الجُرْحِ ، ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾[1] .

وهو ثَمَرةُ الكَرْعِ في الوصلِ ، والإنفِصالِ عن الفَصلِ .

ونتيجتُهُ : أنْ ينطَلقَ لِسانُهُ ، وينفَسِحَ جَنانُهُ ، وتنفتِحَ عَينُهُ ، ويَستَلِذَّ حينَهُ .

شعرٌ[2] : [من الطويل]

وَمُقْعَدِ قَوْمٍ قَدْ مَشَىٰ مِنْ شَرَابِنَا ... وَأَعْمَىٰ سَقَيْنَاهُ ثَلَاثاً فَأَبْصَرَا

وَأَخْرَسَ لَمْ يَنْطِقْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً ... أَدَرْنَا عَلَيْهِ ٱلْكَاسَ يَوْماً فَأَخْبَرَا

وعلامتُهُ : ألَّا يبوحَ بالأسرارِ ، ولا يُميِّزَ بينَ الإعلانِ والإسرارِ ، ينِمُّ لسانُهُ بسِرِّ القَلبِ ، ويخبرُ عمَّا وراءَ الغَيبِ ، ينطِقُ بما يُوحِي إليهِ الحالُ ، ويستَوِي عندَ المآلِ الأوَّل[3] .

شعرٌ[4] : [من الخفيف]

حَيْثُمَا دَارَتِ ٱلزُّجَاجَةُ دُرْنَا ... يَحْسَبُ ٱلْجَاهِلُونَ أَنَّا جُنِنَّا

---

(١) سورة يوسف : (٣٢) .

(٢) الأبيات للأقيشر الأسدي كما في « الأغاني » (٢٦١/١١) ، و« الحماسة البصرية » (٣٩١/٢) ، ونُسبت لأبي نواس في « المحب والمحبوب والمشموم والمشروب » للرفاء (١٥٨/٤) ، وفيه : (يوماً فهمَّرا) ، وبلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٤٠/٢) .

(٣) قوله : (ينطق بما . . . الأول) ساقطٌ من (أ) .

(٤) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة ، في « كنز الدرر وجامع الغرر » (٥٢١/٤) .

تلاشَتْ ذاتُهُ ، واضمَحَلَّتْ صِفاتُهُ ، أسكَرَتْهُ قَهوةُ الجمالِ ، وغَمرَتْهُ سَطوَةُ الجَلالِ ، فبِي ينطِقُ ، وبي يَسمَعُ ، وبي يُبصِرُ ، وبي يَبطِشُ ، وبي يمشِي ، وبي يأتِي .

شعرٌ[1] : [من البسيط]

مُسْتَهْلَكِينَ بِقَهْرِ ٱلْحَقِّ قَدْ هَمَدُوا وَٱسْتُنْطِقُوا بَعْدَ إِفْنَاءٍ بِتَوْحِيدِ

(١) البيت بلا نسبة في : « لطائف الإشارات » للقشيري (١/٢٩٠) ، وفيه : (مستهلكون بقهر . . . بعد افتنائهم . . .) وفي الأصل : (فناء) بدل (إفناء) .

فصل

[في التوكُّلِ]

ثمَّ تنزلُ النَّفسُ منزلَ التَّوكُّلِ .

حدَّثنا عبدُ الرحمٰنِ بنُ أحمدَ بنِ الحسينِ ، أنا أحمدُ بنُ الحسينِ الكسائيُّ ، أنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ السبتيُّ ، أخبرَنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ عمرويهِ ، حدَّثَنا أبو الربيعِ الحارثيُّ ، حدَّثَنا محمَّدُ بنُ إسماعيل بنِ فديكٍ ، أخبرَني محمدُ بنُ نوحٍ التيميُّ ، عن عيسى بنِ ميمونٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى ٱلنَّاسِ . . فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ »[1] .

والتَّوكُّلُ : إلقَاءُ المقاليدِ إلى اللهِ ، والالتِجاءُ إلىٰ عِلمِهِ ، والارتِضَاءُ باختِيارِهِ في حُكمِهِ .

وهو ثَمَرَةُ النَّظرِ إلىٰ لُطفِ اللهِ بهِ بَدءاً ، وكَونه في الأَزَلِ به حَفيّاً .

ونتيجتُهُ : نِسيانُ الأَوقاتِ ، ومُراقبةُ نظَرِهِ لهُ في جميعِ الحالاتِ ، ومُطالعَةُ عِلمِهِ التَّامِّ وقُدرَتِهِ البَالِغةِ ، ورِضَاهُ بقِيامِهِ علىٰ كُلِّ شيءٍ .

وعلامتُه : استقامةُ خَواطِرِ الأَفكارِ تحتَ مجَاري الأَقدَارِ ، مع عِلمِهِ بأنَّ كُلَّ شيءٍ عندَهُ بمِقدَارٍ .

شعرٌ[2] : [من الطويل]

---

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » (١٧٣٠) ، وابن أبي الدنيا في « التوكل » (٩) ، وابن عدي في « الكامل » (٢١٩/٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٧٠/٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٨/٣) ، من طرقٍ عن محمد بن كعب به .

(٢) الأبيات لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، كما في « المذاكرة في ألقاب الشعراء » (ص ١٨٤) ، بنحوها .

إِذَا شِئْتِ أَنْ أَرْضَىٰ وَتَرْضَيْ وَتَمْلِكِي زِمَـامِـيَ مَـا عِـشْـنَـا مَـعـاً وَمَـعَـانِـيَـا

أَلَا فَٱرْمُقِي ٱلدُّنْـيَـا بِعَيْنَيَّ وَٱسْـمَعِي بِـأُذْنِـيَ فِـيـهَـا وَٱنْـطِـقِـي بِلِسَانِيَا

فصل

[في الصَّحوِ]

فإذا أُنزلَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . وَردَ القَلبُ مَنهَلَ الصَّحوِ .

والصَّحوُ : الإستِروَاحُ برَوحِ القُربِ ، والسُّكونُ إلىٰ بَردِ الوَصلِ .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَصَابِعِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ؛ فَعَلِمْتُ عِلْمَ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ »[1] .

وهو ثَمَرةُ مُلاطَفةِ الحَبيبِ ، والإستِكنَانِ في كَنَفِهِ .

ونتيجتُه : التَّمكُّنُ ، وذَهابُ التَّلوُّنِ ، ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[2] ، والتَّمتُّعُ بكَمالِهِ ، والتَّكرُّعُ مِنْ جمالِهِ .

شعرٌ[3] : [من الطويل]

فَبِتْنَا عَلَىٰ رَغْمِ ٱلْحَسُودِ وَبَيْنَنَا ... حَدِيثٌ كَرِيحِ ٱلْمِسْكِ شِيبَ بِهِ ٱلْخَمْرُ

حَدِيثٌ لَوَ ٱنَّ ٱلْمَيْتَ يُؤْتَىٰ بِبَعْضِهِ ... لَأَصْبَحَ حَيّاً بَعْدَمَا ضَمَّهُ ٱلْقَبْرُ

فَوَسَّدْتُهُ كَفِّي وَبِتُّ ضَجِيعَهُ ... وَقُلْتُ لِلَيْلِي طُلْ فَقَدْ رَقَدَ ٱلْبَدْرُ

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (٣٤٨٤) ، والترمذي (٣٢٣٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، بنحوه .

(٢) سورة النجم : (١٨) .

(٣) الأبيات لأحد الظرفاء كما في « الظرف والظرفاء » للوشاء (ص ٢٣٢) ، بنحوها ، وانظر : « الأمالي » لأبي علي القالي (٨٤/١) ، و« حماسة الظرفاء » للزوزني (ص ١٥) ونسبه لأبي الحسن القوال .

فصل

[في الرضا]

ثمَّ تنزِلُ النَّفسُ مَنزلَ الرِّضا .

حدَّثنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ المقرئُ ، أنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ [١] ، أنا سليمانُ بنُ أحمدَ بنِ أيوبَ [٢] ، أنا الحسينُ بنُ إسحاقَ التستريُّ [٣] ، حدَّثنا كثيرُ بنُ عبيدٍ ، ثنا بقيةُ [٤] بنُ الوليدِ ، عن أبي توبةَ العنبريِّ [٥] ، عن عبادِ بنِ كثيرٍ ، عن ابنِ طاووسٍ ، عن أبيهِ ، عن ابنِ عُمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ مِنْ كَرَامَةِ ٱلْمُؤْمِنِ عَلَى ٱللهِ نَقَاءُ ثَوْبِهِ ، وَرِضَاهُ بِٱلْيَسِيرِ » [٦] .

والرِّضا : طُمأنينَةُ النَّفسِ تحتَ أعباءِ سَطواتِ القَدَرِ ، حتَّىٰ لا يُسمَعَ لها نفصٌ ، ولا يُؤثِّرَ فيها رَفعٌ ولا خَفضٌ .

وهو ثَمَرةُ الِاكتِفاءِ بلُطفِ الطَّبيبِ ، والإسلامِ لعِزَّةِ الحبيبِ [٧] ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٨] .

خَلِيلَيَّ لَوْ دَارَتْ عَلَىٰ رَأْسِي رَحَىٰ ٱلدَّهْرِ لَمْ أَجْزَعْ وَلَمْ أَتَكَلَّمِ [٩]

---

(١) هو أبو نعيم الأصبهاني ، والحديث في « حلية الأولياء » له (٧/٢) .

(٢) هو الطبراني ، والحديث في « المعجم الكبير » له : (٣٩٥/١٢) (١٣٤٥٨) .

(٣) في « الحلية » : (إسحاق بن الحسن التستري) .

(٤) في (ب) : (رويد) والتصويب من مصادر التخريج .

(٥) في (ب) : (أبي بويه التميري) ، وعند الطبراني وأبي نعيم : (النميري) والتصويب من ابن السني .

(٦) وأخرجه أيضاً ابن السُّنِّي في « القناعة » (٥٩) ، من طريق كثير بن عبيد به .

(٧) في (أ) وعبارتها : (وهو ثَمَرةُ الِاستيلاءِ والِانقيادِ للحبيبِ) .

(٨) سورة البقرة : (١٣١) .

(٩) البيتُ بلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٢٩٣/٢) ، وفيه : (رأسي انرحن من الذل لم) ، فيكون من البحر الطويل .

ونتيجتُهُ : أنْ يفرَحَ بالمِحنَةِ فَرحَ غَيرِهِ بالنِّعمةِ ، وأنْ يَشكُرَ عندَ البَلاءِ شُكرَ غيرِهِ في الرَّخَاءِ .

شعرٌ : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْأُلَىٰ مَاتُوا عَلَىٰ دِينِ ٱلْهَوَىٰ وَجَدُوا ٱلْمَنِيَّةَ مَنْهَلاً مَعْسُولَا (١)

فإذا بلغَتِ النَّفسُ هٰذا المنزلَ . . اطمَأنَّت ، وصَارَت مُقيمَةً لا تَرتحِلُ ، وثابتَةً لا تنتقِلُ ، وينفَرِدُ القَلبُ عنها بمَناهِلَ .

---

(١) البيت لعمرو بن قنان في : « الظرف والظرفاء » للوشاء (ص ٧١) ، وبلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٧٢/١) ، وفيه : (دين الهدىٰ . . . معلولا) ، وورد بلفظ المصنف في موضعين آخرين : (٣٣٠/١ ، ٤٦٩) .

فصل

[في الهيمانِ]

فيَرِدُ القَلبُ مَنهَلَ الهَيمانِ .

والهَيمانُ : وَلَهُ القَلبِ في بَراعةِ الجَمالِ ، وتعزُّزِ الجَلالِ ، ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[1] .

وهو ثَمَرةُ البَسطِ ، وقوَّةُ الضَّبطِ .

ونتيجتُهُ : التَّعرّي مِنْ لِباسِ التَّغرّي ، والتَّخلّي عنِ التَّزيُّنِ ؛ اشتغالاً بما يُعاينُهُ ويُعانِيهِ .

شعرٌ[2] : [من الوافر]

يُـرَنِّـحُـنِـي إِلَـيْـكَ ٱلـشَّـوْقُ حَـتَّـىٰ أَمِـيـلُ مِـنَ ٱلْـيَـمِـيـنِ إِلَى ٱلـشِّـمَـالِ

وَيَـأْخُـذُنِـي لِـذِكْـرَاكَ ٱرْتِـيَـاحٌ كَـمَـا نَـشَـطَ ٱلْـبَـعِـيـرُ مِـنَ ٱلْـعِـقَـالِ

---

(١) سورة الشعراء : (٢٢٥) .

(٢) الأبيات للشريف الرضي في « ديوانه » (١٧٥/٢) ، وفيه : (لذكركم . . . الأسير من) ، وبلا نسبة في : « شرح حديث : لبيك اللهم لبيك » لابن رجب (١٣١/١) ضمن « مجموع رسائله » ، وفيه : (لذكركمُ رياحٌ . . . الأسيرُ) ، وفي « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » (٤٥٨/٢) ، وفيه : (لذكراك اهتزاز . . . الأسير) .

فصل

[في التلفِ]

ثمَّ يردُ القلبُ مَنهَلَ التَّلَفِ .

والتَّلَفُ : هو الإنمحاءُ تحتَ صَدَماتِ العِزَّةِ وخَطَفاتِ الغَيرةِ ولمَعانِ أنوارِ الكِبرياءِ ، ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾[1] .

وهو ثَمَرةُ الإطِّلاعِ على الغَيبِ ، والحَومِ حولَ أسرارِ الأزَلِ .

شعرٌ[2] : [من الوافر]

وَيَظْهَرُ فِي ٱلْهَوَىٰ عِزُّ ٱلْمَوَالِي فَيَلْزَمُنِي لَهُ ذُلُّ ٱلْعَبِيدِ

ونتيجتُهُ : فنَاهُ عن وجودِهِ ، وقيامُهُ لقيُّومِهِ الحَقّ ، مَنْ كَانَ في اللهِ تَلَفُهُ . . كانَ للهِ خَلَفُهُ[3] .

شعرٌ[4] : [من المجتث]

---

(١) سورة آل عمران : (١٥٧) .

(٢) البيت بلا نسبة في : « لطائف الإشارات » للقشيري (٢٣١/٣) .

(٣) في (ب) وعبارتها : (مَن كان اللهُ تلَفه . . كان اللهُ خلَفه) .

(٤) الأبياتُ للحلَّاج كما في « شرح ديوان الحلاج » لكامل مصطفى الشيبي (ص ٣٥٠ ، ٣٥١) ، وهي فيه كالآتي :

عجبتُ منك ومني يا مُنْيَةَ المُتَمَنِّي

أدنيتَني منك حتّى ظننتُ أنّك أنّي

وغبتُ في الوجد حتّى أفنيتني بك عنّي

ونُسبت أيضاً للشبلي كما في « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهاني (٤١٦/٢) ، والوارد فيه :

يا منية المتمني شغلتني بك عني

عجبت منك ومني

يَـا مُـنْـيَـةَ ٱلْـمُـتَـمَـنِّـي عَـجِـبْـتُ مِـنَـكَ وَمِـنِّـي

[وَغِـبْـتُ فِـي ٱلْـوجْـدِ حَـتَّـىٰ] أَفْـنَـيْـتَـنِـي بِـكَ عَـنِّـي

أَدْنَـيْـتَـنِـي مِـنْـكَ حَـتَّـىٰ ظَـنَـنْـتُ أَنَّـكَ أَنِّـي

فصل

[في المحبَّةِ]

ثمَّ يردُ القلبُ مَنهَلَ المَحبَّةِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ أحمدَ المقرئُ[1] ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ الناقدُ[2] ، حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ ، حدَّثَنا أبي ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عبيدٍ[3] ، أنا هارونُ الفَرْوِيُّ[4] ، قالَ : حدَّثني ابنُ علقمةَ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، قالَ : هَلَكَ عثمانُ بنُ مظعونٍ ، فأَمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بجهازِهِ ، فلمَّا وضِعَ في قبرِهِ . . قالَتْ امرأتُهُ : هنيئاً لكَ أبا السَّائبِ الجنَّةُ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَمَا عِلْمُكِ بِذَلِكَ ؟ » قالَتْ : كانَ يا رسولَ اللهِ يصومُ النَّهارَ ، ويُصلِّي اللَّيلَ ، قالَ : « بِحَسْبِكِ لَوْ قُلْتِ : كَانَ يُحِبُّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ » .

والمحبَّةُ : أوَّلُ وادٍ مِنْ أوديةِ الفَناءِ ، وهي العَقبَةُ الَّتي يَنحدِرُ منها إلىٰ مَشارِعِ الجَمعِ ؛ فما قبلَ المَحبَّةِ مِنَ المَناهِلِ يَتفرَّدُ به العَبدُ ، ولا يُضافُ إلى الرَّبِّ منه شيءٌ ؛ فإذا بلغَ مَنهَلَ المَحبَّةِ . . بدَا عينُ الجَمعِ : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[5] ، وهي البُقعَةُ المُبارَكةُ ، ﴿ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[6] .

فينبغي أنْ يُجدِّدَ فيها همَّتَهُ ، ويُقلِّبَ قَدَمَهُ ، ويَتعرَّىٰ عمَّا سِواها مِنَ المنازِلِ والمَناهِلِ ، ويُلبِّي تلبيةَ مُحبٍّ محبوباً وطَالبٍ مَطلوباً .

---

(١) في (ب) : (المقدي) ، والصوابُ ما أثبتُّ ؛ وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرئ ، راوية الإمام أبي نعيم الأصبهاني .

(٢) هو أبو نعيم الأصبهاني ، والحديث في « الحلية » (١٠٦/١) .

(٣) هو ابن أبي الدنيا ، والحديث في كتاب « الأولياء » (٧٢) .

(٤) في (ب) : (القرديتي) ، والتصويب من مصادر التخريج .

(٥) سورة المائدة : (٥٤) .

(٦) سورة طه : (١٢) .

شعرٌ[1] : [من الخفيف]

لَسْتُ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْمُحِبِّينَ إِنْ لَمْ أَجْعَلِ ٱلْقَلْبَ بَيْتَهُ وَٱلْمُقَامَا

وَطَوَافِي إِجَالَةُ ٱلسَّيْرِ فِيهِ وَهْوَ رُكْنِي إِذَا أَرَدْتُ ٱسْتِلَامَا

والمَحبَّةُ حالةٌ تصطَلِمُ ، ولا تنضَرِمُ ، فتَأتي بَغتَةً ، وتَغِبُّ غِبَّةً .

(١) الأبيات نُسبت للشبلي في : « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٧٢/٦٦) ، وفيه : (السر) ، وبلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٢٦١/١) ، وورد في موضع آخر (٥٣٩/٢) ، وفيه : (إجالة السر) .

فصل

[في مقاماتِ المحبةِ]

شعرٌ[1] : [من الكامل]

إنَّ ٱلْمَحَبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبٌ تَفِي عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

وهي تجلِبُ الغَيرةَ ، وتُورِثُ الحَيرةَ .

وشَجرتُها : معرفةٌ مُورِقةٌ .

وثمرتُها : رائِقةٌ مُنمَّقَةٌ .

وفيها مَقَامَاتٌ :

أوَّلُها : التَّحريضُ ، والإمعانُ في البَحثِ ، ﴿ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ ﴾[2] .

والثَّانيةُ : تآلُفُ الأَفكارِ ، ومحبَّةُ الأَذكَارِ[3] ، ﴿ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾[4] .

والثَّالثةُ : الفِرارُ مِنْ غيرِهِ ، للِاستِحلاءِ بذِكْرِهِ ، ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[5] .

والرَّابعةُ : تطَلُّعُ الوصَالِ ، وتوَقُّعُ الِاتِّصَالِ ، ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[6] .

والخَامِسةُ : تَنسُّمُ روحِ القَلبِ ، ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾[7] .

---

(١) البيتُ بلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٤٥٦/٢) ، و« شرح ديوان المتنبي » للعكبري (١٢١/٤) ، وفيهما : (تُلقَى عليك) .

(٢) سورة يوسف : (٨٧) .

(٣) في (ب) : (توكُّف الأخبار محبَّة للأذكار) .

(٤) سورة يوسف : (٨٥) .

(٥) سورة يوسف : (٨٤) .

(٦) سورة يوسف : (٨٣) .

(٧) سورة يوسف : (٩٦) .

والسَّادسَةُ : دَهشَةُ اللِّقاءِ ، لجَلالَةِ الكِبرياءِ : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [1] .

والسَّابعةُ : الإنطِماسُ تحتَ شُعاعِ الجَمالِ : ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [2] .

شعرٌ [3] : [من الطويل]

فَمَا ٱلْحُبُّ حَتَّىٰ تَغْرَقَ ٱلْعَيْنُ بِٱلْبُكَا وَتَخْرَسَ حَتَّىٰ لَا تُجِيبَ ٱلْمُنَادِيَا

---

(١) سورة يوسف : (٣١) .

(٢) سورة يوسف : (١٠٠) .

(٣) البيتُ لمجنون ليلىٰ في : « شرح ديوان المتنبي » للعكبري (١٩٥/٤) ، وفيه : (فما الحب حتىٰ يلصق الجلد بالحشا) ، و« كنز الدرر وجامع الغرر » (٥١٢/٤) ، وفيه : (فلا حبّ حتىٰ يلصق الجلد بالحشا) ، وبلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٢٣٥/١) ، (٢٨٩/٣) ، وفيه : (تنزف العين) .

فصل

[في التوحيدِ]

ثمَّ يردُ القَلبُ مَنهَلَ التَّوحيدِ ؛ وهو الشَّرابُ الطَّهورُ الَّذي يَنفِي خُبث الحدثِ[1] ، ويُفنِي نَعتَ النَّعتِ .

أخبرَنا أبو حفصٍ ثابتُ بنُ طاهرٍ ، أخبرَنا أبو جعفرٍ الهرويُّ ، أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ المؤذِّنُ ، حدَّثَنا محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ موسىٰ ، حدَّثنا محمَّدُ بنُ عليٍّ الطَّالقانيُّ ، حدَّثنا أبو عبدِ اللهِ محمَّدُ بنُ حاتمٍ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، حدَّثنا أبو حذيفةَ ، عن مُقاتلٍ ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ[2] عن أبيهِ ، عن جدِّهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ : مَكْتُوبٌ عَلَىٰ سَاقِ ٱلْعَرْشِ ، وَتَبَارَكَ ٱسْمُكَ : مَكْتُوبٌ عَلَىٰ حِجَابِ ٱلْعَرْشِ ، وَلَا إِلَـٰهَ غَيْرُكَ : تَوْحِيدُ ٱللهِ ؛ فَمَنْ وَحَّدَ ٱللهَ . . أَدْخَلَهُ ٱللهُ ٱلْجَنَّةَ »[3] .

والتَّوحيدُ : إفرَادُ الحَقِّ مِنَ الخَلقِ ، ومَحوُ آثارِ البَشريَّةِ ، وتجريدُ الأُلوهِيَّةِ .

وهو ثَمَرةُ الخروجِ مِن مَضيقِ الرُّسومِ الزَّمانيَّةِ ، إلىٰ سَعَةِ فَضاءِ السَّرمَدِيَّةِ .

ونتيجتُهُ : رؤيةُ الأَغيارِ كما لَمْ تكُن ، ورؤيةُ الجبَّارِ علىٰ ما لَمْ يزَل ، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾[4] .

وحقيقتُه : دَوَامُ المُشاهَدةِ على المُساعَدةِ ؛ فإنَّ الحقَّ ينظُرُ إلى القَلبِ دائماً ، فيكونُ القَلبُ يتأهَّبُ للقَبُولِ قائماً ، فلمَّا احتجَبَ القَلبُ عن هٰذه الحالَةِ طَرْفَةَ عَينٍ . . انقطَعَ مِنْ أَلَمِ البَينِ ، ويصِلُ إلىٰ مَقعَدِ صِدْقٍ .

---

(١) في (أ) : (الخبث) بدل (الحدث) .

(٢) في (ب) : (عمر بن شعيب) ، والصوابُ ما أثبتُّ .

(٣) لم أقف عليه عند غير المُصنِّف ، وهو هنا مصدرٌ أصيلٌ في معرفة هٰذا الخبر .

(٤) سورة الأنعام : (٩١) .

شعرٌ[1] : [من الطويل]

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْـرُكَ فِي فَمِي وَحُـبُّـكَ فِـي قَـلْـبِـي فَـأَيْـنَ تَـغِـيبُ

والتَّوحيدُ علىٰ مَراتِبَ :

توحيدُ إقرارٍ : وهو المَعنِيُّ بقَولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ »[2] .

وتوحيدُ عِلمٍ : وهو المقصودُ بقَولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] .

وتوحيدُ شُهودٍ : وهو المُشَارُ إليهِ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[4]

وتوحيدُ وُجودٍ : وهو المُرادُ بقولِهِ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ[5] ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ ﴾[6] .

فالتَّوحيدُ الإقراريُّ : ثَمَرةُ[7] السَّمعِ ، ورؤيةِ المُعجِزاتِ ، ونتيجتُه : الإسلامُ .

والتَّوحيدُ العِلميُّ : ثَمَرةُ الاستِدلَالِ ، والهِدايَةِ ، ونتيجتُه : الإيمانُ .

والتَّوحيدُ الشُّهودِيُّ : ثَمَرةُ الهِدَايَة ، ونتيجتُه : المَحبَّةُ .

والتَّوحيدُ الوجودِيّ : ثمرةُ العِنايةِ ، ونتيجتُه : الإحسَانُ .

فالمُوحِّدُ القَابِلُ[8] : مُتعرِّضٌ يستمِعُ ، فإنِ استَحلىٰ . . اتَّبعَ[9] .

---

(١) البيت لأبي الشمر عبد الواحد ، وهو أخو المعري كما في « الدر الفريد وبيت القصيد » للمستعصمي (١٩٣/٦ ، ٤٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة محمد : (١٩) .

(٤) سورة آل عمران : (١٨) .

(٥) قوله تعالىٰ : (قل الله) ليس في الأصولِ ، وقد أثبته للسياق .

(٦) سورة الأنعام : (٩١) .

(٧) كلمة (ثمرة) في هٰذا الموضعِ وما سيأتي من مواضع في (أ) : (ثمرته) .

(٨) لعله يعني بالقَابِلِ : العامِّيَّ ؛ بدلالةِ قولِهِ بعده : (والمُوحِّدُ العالِمُ) .

(٩) العبارة في (أ) : (فالموحِّد القائلُ يتعرض ويسمعُ ، فإنِ استحلىٰ . . اتبع) .

والمُوحِّدُ العَالِمُ : مُريدٌ محِبٌّ يقتَصُّ الأثَرَ ، ويتحَسَّسُ الخبرَ ، يعرِفُ الأحباب ، ويقرَعُ البَابَ ، فإن لَجَّ . . وَلَجَ .

والمُوحِّدُ المُواجِدُ : داخِلٌ واجِدٌ واصِلٌ ؛ فإن حَفِظَ السِّرَّ . . اتَّصلَ .

والمُوحِّدُ المُشاهِدُ : انخَرطَ في سِلكِ النِّظَامِ ، وانغَمَسَ في بحرِ الإنضِمامِ ، فعليهِ التَّحيَّةُ والسَّلامُ ، رَامَ فهَامَ ، وكانَ فبَانَ ، غَارَ الحقُّ عليهِ فأمسَكَهُ لدَيهِ ، أوليائِي تحتَ قِبابِي ، لا يَعرِفُهم غَيرِي ، إنْ أخدَمَهُ نفوذُ القَدَرِ . . أعمَرَ بهِ الغُرَّةَ بصفةِ البشرِ ، « مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي »[1] ، وإنْ نُوصِبَ معَهُ الحَربَ . . انتَابَ عنهُ الرَّبُّ[2] ، « مَنْ آذَىٰ لِي وَلِيّاً . . فَقَدْ بَارَزَنِي بِٱلْمُحَارَبَةِ »[3] ، فيُكسَىٰ ثَوبَ الخِلافةِ ، وخُلِعَ عليهِ بخِلعَةِ[4] الأبدَالِ ، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[5] .

فهٰذا عبدٌ عَشِقَ فاحترَقَ ، وصفَا فصُوفيَ ، اضمحَلَّتْ في وَصفِهِ العلومُ ، واندرَسَتْ في أثَرِهِ الرُّسومُ .

شعرٌ[6] : [من الطويل]

طَوارِقُ أنوَارٍ تَلُوحُ إِذَا بَدَتْ فَتُظْهِرُ كِتْمَاناً وَتُخْبِرُ عَنْ جَمْعِ

فَلَوْ سُئِلَ عن حَالِهِ . . أُسْكِتَ ، وظَنَّ الجاهِلونَ أنَّهُ قدْ بُهِتَ ، وإنَّما أسكَتَه التَّعظيمُ والإحترام ، وسكَّتَه الحَقُّ بالإصطِلام[7]

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في (أ) : (وإن ناصَبَ الحرب . . انتاب الرب) .

(٣) أخرجه بهٰذا اللفظ الكلاباذي في « مفتاح معاني الأخبار » (١٩٥/أ) ، من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٦٥٠٢) بنحوه ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في (ب) : (تحلفة) ولا معنىٰ له ، ولعلَّ الصوابَ ما أثبتُّ .

(٥) سورة الأنفال : (١٧) .

(٦) البيتُ بلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٢٤٨/٢) ، و« الرسالة القشيرية » (ص ٢٣٩) .

(٧) الاصطلام : الاستئصال . « الصحاح » (١٩٦٧/٥) .

شعرٌ[1] : [من الكامل]

لَا تُنْكِرِي جَحْدِي هَوَاكِ فَإِنَّمَا ذَاكَ ٱلْجُحُودُ عَلَيْكِ سِتْرٌ مُسْبَلُ

(١) البيتُ بلا نسبة في « لطائف الإشارات » للقشيري (٥٥٣/٢) ، (٦٢٧/٣) .

خاتمة

وأختِمُ الكتابَ بوَصيَّةٍ مرضيَّةٍ ، فاحفَظها :

فليكُنِ الحَقُّ تعالىٰ أوَّلَ فِكرِكَ وآخِرَهُ ، وباطنَ ذِكرِكَ وظَاهِرَهُ ، ولتكُنْ عينُ عَقلِكَ مَكحولَةً بالنَّظرِ إليهِ ، وهِمَّةُ قَلبِكَ مَوقوفَةً بالمُثولِ بينَ يَدَيهِ ، وكُن مُسافِراً في المَلَكوتِ الأَعلىٰ وما فيهِ مِنَ الآياتِ الكُبرَىٰ .

فإذا انحَطَطتَ مِنَ الأُفقِ الأَعلىٰ إلىٰ أَسفلِ قَرارِهِ . . فانظُر إلى الحقِّ تعالىٰ في آثارِهِ[1] ؛ فإنَّهُ تعالىٰ باطِنٌ بعِزَّتِهِ ، ظاهِرٌ بحِكمَتِهِ ، تجلَّىٰ بسُلطانِ هَويَّتِهِ لعِبادِهِ[2] .

شعرٌ[3] : [من المتقارب]

وَفِـــي كُـــلِّ شَـــيْءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ تَـــدُلُّ عَـــلَـــىٰ أَنَّـــهُ وَاحِـــدُ

فإذا ملَكتَ هٰذه الحالةَ ، وحُزتَ هٰذه الفَضِيلَةَ . . انطَبعَ في فَصِّكَ نقشُ المَلكوتِ ، وتجلَّىٰ في مِرآتِكَ قُدسُ الجبروتِ ، وأَلِفتَ الأُنسَ الأَعلىٰ ، وذُقتَ اللَّذةَ القُصوَىٰ ، وأَخذتَ لنفسِكَ إلىٰ ما هو بكَ أَولَىٰ ، واطَّلعتَ على العَالمِ الأَدنَىٰ ، ومِلتَ إلىٰ ما هو منهُ أَسْمَىٰ ، مزاحِمٌ[4] لأَهلِهِ ، مُستَوثِقٌ بحَبلِه ،

---

(١) في (ب) وعبارتها : (فانظر إلى الله وآثاره) .

(٢) في (ب) : (تجلىٰ لعباده بكلِّ شيءٍ) .

(٣) البيتُ منسوب للبيد بن ربيعة ، ولأبي نواس ، ولأبي العتاهية ، وقد ورد في « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ص ٢٠٧) ، و« المحاسن والأضداد » للجاحظ (ص ١٦٨) ، و« الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني (٤/٣٩) .

(٤) في (أ) : (مراحم) ، ولعلَّ الصَّوابَ ما أثبتُّ ، وفي (ب) : (راحم) .

مُستخِفٌّ لثِقَلِهِ ، ومُستحقِرٌ لعقلِهِ ، مُتَّصِلٌ لطرْفِهِ ، وتأمَّلتَ نفسَكَ وهي لها حُجَّةٌ ، وبَهجتُها بَهجةٌ ، فتعجَّبتَ منها ومنهم تعجُّبَهُم منها ومنكَ ، وقدْ ودَّعَها وكانَ معها ، كأنْ ليسَ معَها ، واللهُ أعلمُ .

واعلَمْ : أنَّ أفضلَ حركاتِكَ الصَّلاةُ ، وأَحمدَ سكناتِكَ الصِّيامُ ، وأَعودَ البرِّ الصَّدقةُ ، وأَطهرَ السِّترِ [1] الإحتمالُ ، وأَبطلَ السَّعيِ المُراءاةُ ، وخيرَ الأعمالِ ما صَدَر عن إخلاصِ نيَّةٍ ، وخيرَ النِّيَّةِ ما أشرعَتْ عن جَنابِ عِلمٍ وحِكمةٍ ، واللهُ أعلمُ .

واعلَم : أنَّ الحِكمةَ عينُ [2] الفَضائِل ، ومَعرفةَ اللهِ تعالىٰ أَولَى الأَوائِلِ ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [3] .

أَقول قَولي هٰذا ، وأَستغفِرُ اللهَ العظيمَ ، وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيل ، ولا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العَظيمِ .

تمَّ كتابُ الرَّحيقِ المختومِ [4]

---

(١) في (ب) : (وأظهر السير) .

(٢) في (ب) : (أم) .

(٣) سورة فاطر : (١٠) .

(٤) ختمها النَّاسخُ في (أ) بقوله : (وأَقولُ قَولي هٰذا ، وأَستغفرُ اللهَ الغفَّار ، لي ولجَميع المُسلمين ، إنَّه الجَوادُ الكَريمُ ، والغَفورُ الرَّحيمُ ، ولا حَولَ ولا قُوةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العَظيمِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّد وآلِه وصَحبِه وسَلَّم ، أجمعين) .